الاباء والبنون

﴿ رواية اجتماعية تمثيلية ﴾

﴿ لخائيل نعيمه ﴾

« تابع ما قبله »

* * *

الياس — ماذا جرى ؟ ماذا أرى ؟

شهيدة — (تنفض الثلج عن رأس داود بيديها وتنزع (معطفه) عنه) ويلي · ويلي · من تعدى عليك · ارني · ارني · جروحك (تجذبه الى القنديل) وتفحص جروحه) ربي ! .. من اين آتيه بطبيب · الياس افندي · دخيل جريك ! دخيل ربك · حكيم ! حكيم ! داود · داود · هل تتألم كثيراً يا روح اختك ؟ (تركض الى الغرفة المجاورة)

الياس — الذنب ذنبي · الذنب ذنبي والله يا داود · انا المخطئ · أأمني واشتمني كما تشاء · انا استحق · استحق · استحق ·

داود — وما هو ذنبك ؟

الياس — جئت الليلة خصيصاً لاحذرك من هذا الامر · لكني تأخرت في مجيئي فكان ما كان · يا للهمجية · يا للبربرية !

شهيدة — (ترجع وفي يدها لفافة شاش تضمد بها جراح اخيها) ويحهم ·

ويحهم . من ذا الذي اراد قتلك وانت لا تؤذي احداً ولا تطلب الشر لاحد ؟ دعني أرَ عينك . هل تضررت كثيراً ؟

داود — لا بأس . لا بأس يا اختي . المسألة بسيطة . جرحان خفيفان . لا حاجة الى طبيب . عنايتك تكفيني .

شهيدة — هل تقدر على الكلام ؟ اخبرني ماذا جرى . لا تخف شيئاً . اخبرني كل شيء بالتفصيل . يا للعار يا للشناعة !

داود — (يجلس على الفراش ويتكلم بضعف . الياس وشهيدة يصغيان بانتباه كلي لقصته) ارسل سمعان البكر ابنه يستدعيني اليه ليستشيرني في امر كمبيالة له عند ناصيف عركوش

الياس — ناصيف بك ؟ وكم قيمتها ؟

داود — ١٠٤٥٥ غرشاً

الياس — ناصيف بك مديون لسمعان البكر بعشرة الاف غرش وامي لا تزال تحسبه رجلاً غنياً !

داود — الكمبيالة قد استحقت لكن البيك رفض ان يدفعها او يدفع فائضها او ان يجددها قائلاً ان كلمة شرف منه تكفي . وسمعان البكر رجل مسكين — قضى في امير كا نصف عمره حتى جمع هذه القيمة من المال . هو شيخ مصاب بالداء العصبي عنده زوجته واربعة اولاد عليه ان يقوم بمعاشهم وهو يخاف ان يرفع دعواه الى المحكمة لانه — كما قال — ابو ناصيف بك « رجال حكومة » فلا يكتفي ان يسلبه ماله وحقه بل ربما وجد الحق عليه

ووضعه في السجن . وانت تعرف بساطة هؤلاء الناس الذين لم يدخلوا محكمة في حياتهم . كلهم يخافون المحاكم خوفاً فطرياً كما تخاف القارة الحر . انا اعرف سمعان البكر جيداً لان اثنين من اولاده في صفي . لذلك التجأ هذا المسكين الي . قلت له اني لست محامياً انما اقدر ان اهديه الى محام يتكل عليه لتحصيل دراهمه . مع ذلك نصحت له ان يعيد الطلب علّي ناصيف بك مرة ثانية ، حتى اذا رفض يرفع دعواه الى المحكمة لان الامر لا يحتمل تأجيلاً .

الياس — برافو . برافو . والله خففت عني نصف الحملة !

داود — خرجت من عند البك فوجدت العاصفة قد اشتدت فلم اخف لاني احب العواصف . ما كدت اقطع الجسر حتى رأيت شخصاً خرج من تحته وناداني — « بارضك ! » وقفت لاسأله من هو وماذا يريد فلم اشعر الا بلطمة على وجهي اطارت الشرر من عيني . لكني لم اقع . خلتُ اولاً ان ضاربي قد اخطأ غرضه وانه كان يقصد سواي لاني فحصت افكاري فلم اذكر لي عدواً يحب الايقاع بي على تلك الصورة . صحت بالرجل — انا داود سلامه — من تطلب ؟ قال — « انت لا غيرك » وانقض علي بعصا في يده . حينئذٍ عيل صبري ولم املك نفسي من الغضب . (بحرارة) تلقيت العصا بهذه اليد وقابلته بهذه فتسدد للحال على الثلج كالقتيل . انحنيت فوقه لآخذ العصا من يده واذا بعصا من حديد سقطت على رأسي من خلف ، ثم سقطت اخرى بين كتفي . اذكر اني هويت على وجهي الى اسفل ولا اذكر

ما جرى بعد ذلك . بلى ، اذكر اني سمعت صوتاً كأنه من خلال نوم يقول — « كمل عليه . كمل عليه » وصوتاً آخر يجيبه « لا تخاف . قلب باطله . باذن الله » . ولا ازال في حيرة الى الان من الصوت الاول . كأنه صوت اخيك خليل تماماً حتى اني لما سمعته احببت ان اناديه باسمه لكن لساني لم يطاوعني . لا ادري كم بقيت هنالك مطروحاً على الثلج انما اعلم اني افقت مشعراً كأن الدم في عضلاتي جمد او كاد يجمد . لكني وصلت الى هنا بدون عناء كبير . انا الان مرتاح لا تخافي يا شهيدة . غداً سانهض معافى تماماً .

الياس — (بدهشة وغضب) خليل بين هؤلاء اللصوص ؟ لعنه الله ما اخبثه ولو كان اخي ! أتدري ماذا قال لي هذا الشيطان اليوم ؟ قال لي — « الياس ! شوف هادا صاحبك المعلم داود — انا بحزه وبحبه مثلك وا كثر . شاب آدمي ، حبوب . لكن احسن قله تايبطل يلعب بعقل زينه . هادا عريسها طالع دبنه منه ولولاي بدو يستأجر قوبة زعران تايلقطوا صاحبك داود شي ليلة ويطعموه بدن مليح — هات يخلص . هات ما يخلص » هذا ما قاله لي هذا الداهية ، وانا لبساطة قلبي او عماوته ، صدقته انما جرّبت ان اقنعه انك بريء من هذه التهمة لكنه لم يصدقني .

داود — أتظن ان الذين هجموا عليّ الليلة هم ناصيف بك وزمرته ؟

الياس — لا شك في ذلك . ناصيف بك ربما لم يشترك في الامر فعلاً — لكن التدبير تدبيره بدون اقل شك .

داود — وما تأره عندي وانا اكاد لا اعرفه ؟ .

الياس — لله ما ابسطك ! او لم تدر بعد بما جرى في هذين اليومين ؟ زينة ارجعت الى ناصيف بك خاتم الخطبة . لا بل طرحته في وجهه

داود — (بدهشة ممزوجة بفرح) زينة ؟ !

الياس — زينة . نعم زينة . من ابن اتيتا تلك الجسارة — لا ادري . لكنها — كما فهمت من امي تخاصمت معه لاجلك .

داود — (بدهشة كلية) لاجلي ؟

الياس — نعم لاجلك . عارف بك اخذ مرة يشتمك امامها — وكانت منفردة معه . فاستشاطت للحال غيظاً وقالت له بجرأة أن لا حق له ان يشتم غائباً وبالاخص رجلاً غريباً عنه . وان عندك من النهم اضعاف اضعاف ما عنده . ولما توغل في شتمك قالت له ان « خنصره » — تعني خنصرك — بيساره — تعني عريسها . فامرها ان تصمت للحال فسألته من هو لياْمرها بالصمت ومن اين جاء بذاك الحق . فاشار للخاتم على اصبعها وقال انه خطيبها وان له الحق ان يأمرها بألاّ تتكلم عنك او عن سواك حتى بألا تفتح فمها على الاطلاق الخ الخ ... فتنوعت زينة للحال خاتم الخطبة من اصبعها — وهل تصدق ؟ — رمته في وجه ناصيف بك — ويقولون انه اصاب انفه وجرحه — قائلة — « اذا كان هذا ما يعنيه خاتمك فالف سلام عليك وعليه » وخرجت من الغرفة . ولذلك نالت من يد امي ضرباً مبرحاً . امي طبعاً لا تزال تعمل جهدها لتسوية الخلاف ليتم الاكليل في الاعياد القادمة كما دبرت ذلك من زمان . ناصيف بك وابوه يتظاهران بانهما متأثران من الاهانة لكنهما في

الواقع قد نسياها من زمان ويعملان الان يداً واحدة مع امي لاجبار زينة على القبول وزينة تقول — « الموت او الدير ولا ابن العركوش » وقد جئت الليلة اولاً لاحذرك من اشراك تاصيف بك — وقد تأخرت عن ذلك — وثانياً لاستشيرك في واسطة تخلص بها زينة من يدي امي التي لو ألحت لاستطاعت ان تجبرها على القبول وان تجبر الخوري كذلك على القيام بصلاة الزيجة . فما رأيك ؟

داود — هل عن واسطة اقدر ان ارى فيها زينة ؟

الياس — انا اقدر ان آتي بها الى هنا . فهل ذلك مناسب ؟

داود — في هذه العاصفة ؟

الياس — نعم . في هذه العاصفة

داود — ألا خطر عليها ؟

الياس — لا خطر عليها اذا كنت انا معها .

داود — اذا كان هكذا فاذهب ولا تطل غيابك .

الياس — (لابساً قبعته ورداءه) انتظراني اذن . سارجع عن قريب . (يخرج)

شهيدة — هاكها — حكاية حياتنا السورية . دائماً هي هي . ابنة — يزوجها ابواها ولا يسألان رأيها في الامر كأن ارادتها لا تقدم ولا تؤخر شيئاً على الاطلاق .

داود — نعم . هذه هي حكاية حياتنا . لكنها يجب ان تتغير وستتغير

عن قريب . يجب ان يعرف الابناء حقوقهم والآباء يجب ان يعترفوا لهم بهذه الحقوق . الوالد او الوالدة اللذان يدعيان حق التصرف بمستقبل بناتهن تصرفاً مطلقاً لقاء ما صرفاه عليهن من الخبز والثياب والتعب ، لا يستحقان الاكرام الواجب من الاولاد للوالدين . والوالدان اللذان يطلبان مغنماً شخصياً لنفسيهما من تزويج ابنتهما وينسيان مستقبلها وسعادتها يضيعان كل حقوقهما عليها . نعم . هذه الحالة يجب ان تتغير . ولا بد ان تتغير لان ابناء هذا الجيل قد ولدوا في عالم جديد . في عالم غير العالم الذي ولد فيه اباؤهم . اباؤهم كانوا منعزلين عن عالم النور اما هم فقد افاقوا على انفسهم والنور يغمرهم من كل جانب . فلا سبيل لهم ان يستتروا منه بجلباب الظلمة ، او ان يختفوا من وجهه في المنائر والكهوف حتى ولو حاولوا ذلك

شهيدة — الافضل ان لا تكلم عن ذلك لئلا تهيج . كيف جرح رأسك الان ؟

— كنت اسمع ان العرق ينفع للجرح . فهل تقدرين ان تأتيني بقليل من العرق ؟ لا ادري اذا كان حانوت العين لا يزال فاتحاً الى الان . هذا اقرب حانوت الينا . اذا وجدته مقفلاً فاسألي بعض الجيران . ولكن الاحسن ان تنتظري الى ان تهدأ العاصفة .

شهيدة — لا تخف علي من العاصفة . اضطجع على السرير وبقا اعود . (تخرج)

داود — (يجلس على السرير ساكتاً ورأسه بين يديه . بعد برهة قصيرة

يسمع طرقه على الباب) الياس ؟ ادخل ! (تتكرر الطرقة فينهض داود نحو الباب ويفتحه . وللحال يرتمي الى الوراء مذهولاً وهاتفاً) ست زينة ؟ !

(زينة تدخل وعليها رداء ثقيل داكن ، مغطى بالثلج وقد لفت رأسها بخمار من الحرير الاسود .

زينة — (ناظرة الى داود) قد قضي الامر اذن . فلم يعد من حاجة لمجيئي اعذرني يا معلم داود . يجب ان ارجع من حيث اتيت . (تهم بالخروج)

داود — ست زينة . ست زينة ! ما الخبر ؟ حلفتك بربك ألاّ تخرجي الان . لي اليك حاجة . ابقي هنا ولو دقيقة . اكاد لا اصدق عيني . ماذا جاء بك الى هنا في مثل هذه الساعة ؟

زينة — جئت لاحذرك من مكيدة يصليها لك بعض الرعاع . واراني قد تأخرت . تهت عن الطريق في هذه العاصفة . بقيت نحو ساعتين ابحث عن مقرك . وقد اهتديت اخيراً . لكن قد قضي الامر . فاعذرني ودعني اذهب . احببت ان اكفر عن ذنب قديم فاقترفت ذنباً جديداً .

داود — ألا تريدين ان تجلسي . بالله اجلسي واخبريني ما هي المكيدة التي احببت ان تنجيني منها .

زينة — سمعت اخي وابن العركوش يتشاوران في ان يوقعا بك الليلة . وقد قررا ان يستأجرا لتلك الغاية بعض الرعاع . انتخبا هذه الليلة حتى اذا استغثت لا يسمع صوتك في العاصفة . واذا سأل عنك دم يغطيه الثلج المتهمر من السماء . وقد جئت لانذرك لكي لا تخرج الليلة لكني قد تأخرت . والذنب

ذنبي لا ذنب العاصفة ·

داود — وكيف تجاسرت ان تخرجي في ليلة كهذه · ألم تخشي العاصفة؟

زينة — كلا ·

داود — ألم تخشي امك ؟

زينة — خرجت وهي في زيارة بعض الجيران ·

داود — ألم تخشي القيل والقال لو رآك احد ؟

زينة — لا يهمني قيل الناس وقالهم ·

داود — وكل ذلك لاجلي ··· اي لكي تنذريني من الوقوع في المكيدة ؟

زينة — نعم · لكي انذرك من الوقوع في المكيدة ·

داود — من اجلي افتحت العاصفة ، ومن اجلي لم تبالي بكلام الناس ومن اجلي احتملت الضرب ···

زينة — اي ضرب ؟

داود — ألم تضربك امك بسببي ؟

زينة — من اين علمت ذلك ؟

داود — من الياس ·

زينة — هل اخبرك كل شيء ؟ وانت من اجلي من اشبعوك ضرباً واتخنوك جراحاً ؟

داود — لولاك ولولا الياس لما عرفت السبب الى الآن · ضربوني تعدياً وظلماً · واذا كان السبب كما يقولون فما احب جراحي الي !

زينة — ماذا تعني ؟

داود — اعني اذا كانوا ... اعني اذا ضربوني لانهم يحسبون اني سبب خصامك مع ناصيف بك فانا قابل بجراحي بكل سرور .

زينة — واذا كانوا ضربوك لانهم ... لانهم حسبوا ... لانهم ظنوا اني ... اني احب ... انك تميل الي وانا اميل اليك ؟

داود — ذا لمستحيل !

زينة — مستحيل ؟ (تطرق الى الارض) نعم مستحيل . وهم لجهلهم لم يعرفوا انه مستحيل . وانا لجهلي كذلك لم اعرف انه مستحيل . (تنهض) قد قضيت هنا اكثر من دقيقة كما طلبت مني اولاً . فاعذرني الان . اعذرني على ما لحق بك من الاوجاع بسببي وانت بريء مني . ساجتهد ان اكفر عن ذنبي . احب ان اشكرك قبل ان اخرج — ولا اقدر اني سألتقي بك بعد — احب ان اشكرك على امر ربما تعده انت طفيفاً . انت قد فتحت عيني فابعدتني من هاوية ، ولكنك ادنيتني من اخرى انقطع واعمق منها . مع ذلك انا اشكرك جداً . وداعاً (تهم بالخروج)

داود — (آخذاً بيدها) ست زينة ! ست زينة ! دقيقة بعد . دقيقة بعد .

زينة — (متجهة نحوه) ماذا تطلب مني بعد ؟

داود — ماذا تعنين بالهاوية — الهاوية الثانية التي ادنيتك منها ؟

زينة — ما النفع من كل هذه السؤالات وانت لا تقدر ان تغير ما قد تم ؟ الهاوية التي خلصتني منها — هي ناصيف بك العركوش . أتذكر لما

كنت في بيتنا لاول مرة ؟ أتذكر حديثك مع الياس عن الآباء والبنين؟ انا كنت جالسة اسمع واعي ولا اظنك شعرت بوجودي في تلك الغرفة ٠ من ذاك اليوم تفتحت عيناي قليلاً وزياراتك التالية زادتني احتقاراً لنفسي فكانت النتيجة اني رفضت ابن المركوش ٠ رفضته ولا ادري ماذا افعل بنفسي الان ٠ كنت من قبل جاهلة عمياء راضية بالقليل ٠ واليوم لا ازال جاهلة ولا ازال عمياء لكني لا ارضى بما كنت راضية به قبل وما اطلبه الان لا اقدر ان اظفر به لذلك اقول اني كنت سعيدة بجهلي ٠ وانك ابعدتني من هاوية لتدنيني من اخرى ٠

داود — وما هو الذي تطلبينه الان ولا تقدرين ان تحصلي عليه ؟

زينة — اطلب المستحيل ٠ وما كنت ادرك ذلك حتى هذه الليلة ٠ نعم ٠ اطلب المستحيل ٠ فبالله لا تسألني بعد عن شيء ٠ اذا كنت لا اعرف شيئاً على الاطلاق فانا اعرف على الاقل حقيقة واحدة — وهي ان موتي الان خير من حياتي ٠ لذلك سأموت ٠ وداعاً (تهم بالخروج)

داود — (يوقفها آخذاً بيدها) ست زينة ! انت تموتين ؟ فمن يستحق ان يعيش اذن ؟

زينة — ألا تقدر ان تدعوني باسمي فقط ؟ هل يصعب عليك ذلك ؟

داود — ست زينة ٠٠٠ زينة ! لماذا تذكرين الموت !

زينة — ولاجل من اعيش الان ؟ انت تقول ان السعادة في ان يعيش الانسان لاجل سواه — وانا لاجل من احيا ؟ من يهمه وجودي وبقائي ؟

داود — زينة — عيشي لنفسك تعيشي لاجل الغير · عيشي لاجل احباب الياس فهو يحبك ·

زينة — انا اكره نفسي اذا بقيت منفردة كما انا الان · واخي الياس لا يحتاج اليّ · فلمن · لمن ··· لمن يعيش من كان مثلي ؟ (تبكي)

داود — زينة — زينة — عيشي ··· عيشي لي ··· عيشي لاجلي ··· لاجلي انا · هل تصغين عن جسارتي ؟

زينة — لاجلك ؟ — لماذا تهزأ بي ؟ (تبكي) ألأني ابنة جاهلة ؟ انا اعرف اني حمقاء · اني جاهلة · اني بسيطة · فلماذا تذكرني بذلك ؟

داود — زينة ! اقسم لك بمن جمعني بك هذه الليلة من غير عهد اني احتاجك · احتاجك · احتاجك · وحياتي ليست كاملة بدونك · ادركت ذلك من يوم رأيتك · لكنني حكمت على نفسي السكوت لاني ظننت ان روحك لم تستيقظ بعد · ظننت اني لست اهلاً لحبك · ظننت ان حياتك كاملة بدوني · خفت ان اعرض عليك نفسي والعقبات في سبيل اتحادنا كثيرة

زينة — داود ! هل تعني ما تقول ؟ يربك ؟ — ألست تهزأ بي ؟ لا ؟ فاذن ··· (تنطرح نحوه ثم ترجع الى الوراء) لا · لا · انت تهزأ ···

داود — وحياة زينة لا اهزأ — وهل هذا وقت هزء

زينة — انت · انت — داود الذي كنت اراه في احلامي ولا اجسر ان ألفظ اسمه بلساني حتى امام نفسي وفي خلوتي · انت الذي فتحت عيني فابصرت بعض ما عميت عنه قبلاً · انت الذي انرت وجودي بنور جديد ·

انت ... انت ... لا تغريني ؟ ! انت لا تزدري، بجهلي وبساطتي وضعف عقلي ؟ انت تحبني ؟ ! وهذا ليس حلماً ؟ (ترتمي بين ذراعيه)

داود — احبك يا زينة . احبك يا زينة (يقبلها) وهذا ليس حلماً بل يقظة .

زينة — أتومن بالله ؟

داود — اومن .

زينة — لا تضحك . أترى هذا الحنجور (تخرج حنجوراً من جيبها) ؟ أتدري ما فيه ؟ . سم ناقع . كرهت نفسي وحياتي في المدة الاخيرة حتى عزمت ان اقتل نفسي . كرهت ابن العركوش كرهاً لا كره فوقه . واحببتك حباً لا ادري اذا عرف مثله احد قبلي . لكني لم اجسر ان اعترف به حتى امام نفسي . نظرت الى الهوة بيني وبينك — لا هوة المال والنسب — بل هوة الادراك والمعرفة ، فوجدت تقربنا من المستحيل . ولم يبق في في الدنيا من غاية سوى الاقتراب منك . واذ اقنعت نفسي ان لا أمل بتحقيق هذه الغاية حصلت على هذا الحنجور وخرجت هذه الليلة وبقصدي ان لا ارجع الى العالم ابداً . لا ادري ماذا اوقف يدي عن تجرع ما في هذا الحنجور . حاولت ذلك مراراً — وكل مرة كان شخصك يقف امامي فتجمد يدي . اخيراً صليت لربي من اعماق قلبي وسألته ان يهبني جرأة وقوة لآتي هذه الليلة واراك قبل ان اموت . وان اسمع منك هاتين الكلمتين — « احبك يا زينة » اذا كان الله يشاء لي ان اعيش بعد . اتخذت امر المكيدة عذراً لمجيئي في مثل

هذه الساعة . وقد سمعت ما اشتهيت فاشكر الله . قل مرة بعد . احبك يا زينة .

داود — احبك يا زينة . احبك يا زينة . احبك يا زينة . ولو كنت اخشى ان يكون حبي شقاء لك

زينة — حبك شقاء لي ؟ ! (تضحك)

داود — (مشيراً الى اثاث غرفته الفقيرة) انظري . تأملي . هل ترضين بالفقر بعد الغنى ؟

زينة — هس . هس . هس . لا تنه بكلمة واحدة بعد عن هنا . ما احسن الفقر . ما ألذ البرد . ما اشجى صفير العاصفة اذا كان هنا (تشير الى قلبها) ما يدفىء وما يغذي من الحب . مع ذلك فنحني الان من امي قبل ان تفتكر بهذه الامور . عجباً . لا ادري لماذا لا تزال اخافها . عقلي يدلني وقلبي يدفعني الى ان اكشف لها كل ما في قلبي ، وان لا اهتم لغضبها ، وان لا اخاف ضربها . لكني عندما اسمع صوتها ، عندما ارى عينيها — ارتجف كالقصبة . اظن انها قد ارضعتني خوفها مع اللبن

داود — سنفعل ما في وسعنا بمساعدة الياس لتتغلب على املك . هل من خوف عليك اذا عدت الليلة الى البيت ؟

زينة — قلت لك اني اخاف امي . لكن لتفعل امي وكل الاقدار ما تشاء . ألم تقل لي « احبك يا زينة » ؟ فلتفعل امي ما تريد . (تعانقه) هل تعود وتندم على ما قلته لي الليلة ؟ هل تعود فتنفر مني لجبلي وباطني ؟ لا ؟ —

ما احسن الحياة معك يا داود ! (شهيدة تدخل فجأة)

شهيدة — (ناهضة عن ثيابها الثلج وناظرة بدهشة الى زينة) حالك العرق. فكيف جراحك الان ؟

داود — دعي العرق لمن يشرب العرق . فانا قد نسيت جراحي . الله بعث الي دواء الفج من العرق . وهذا هو (يشير الى زينة) هذه الست زينة — او زينة — اخت الياس ، يا شهيدة . فاقبليها كأخت . (الى زينة) وهذه اختي يا زينة — فاقبليها كأخت لك كذلك !

شهيدة — (تهجم لمعانقتها) ليكن اسمك مهما كان . يكفيني ان داود يحب هذا الاسم وصاحبته ، لذلك سأحبك انا كذلك . اخلعي . اخلعي شالك ورداءك (تنزع الشال عن رأسها) اجلسي فسأذهب انا واشعل ناراً لتدفئي اصابعك النحيفة . في غرفتنا برد اكثر مما في الخارج . ألم تشعري بذلك يا زينة ؟ اجلسي بحياة عمرك . انا احب ان اتعرف بك جيداً . (تخرج)

زينة — اخت مجبولة من اللطف مثلك — . لماذا لم تقل لي ان عندك اختاً ؟

داود — لم يتسن لي ذلك قبلاً .

شهيدة — (ترجع وبين يديها منقل فيه قليل من الفحم وكسر الحطب. تشعل ثقاباً وتنفخ) ابن الياس . هل رجع ثم عاد فخرج ؟

زينة — اي الياس ؟ — اخي ؟

شهيدة — الياس اخوك . اي . ألم تأت الى هنا برفقته ؟

داود — لا . زينة انت لو علمها . وقد نسيت ان اخبرها ان الياس كان عندنا الليلة . وانا ارسلناه لاستدعائها لتتخابر معاً في امر نجاتها من ابن العركوش

زينة — ارسلت الياس لاستدعائي لتخابروا في امري ؟ ! أتعني انك كنت تهتم بي قبل ان عرفت حبي لك ؟ ما ارق قلبك يا داود !

داود — بدأت اهتم بك من يوم رأيتك لاول مرة . (يسمع وقع اقدام وراء الباب) هذا هو الياس . (يذهب نحو الباب)

الياس — (يفتح الباب) ها . انت هنا وانا افتش عنك ؟ أتدرين ان امي وخليلاً قد خرجا يبحثان عنك كذلك . الخادمة في البيت قالت لي انك هربت وان امي كانت « تلاطش خيالها » . رجعت الى البيت ولم تجدك فاستدعت خليلاً للحال ليذهب معها للبحث عنك . خرجت في هذه العاصفة وهي تقول انها اذا وجدتك « بدها تقيم القيامة »

داود — اجلس . اجلس وتدفأ الآن . هاتي كرسياً يا شهيدة . سنقف على التفاصيل فيما بعد .

الياس — فيما بعد ؟ انا احب ان اعرف ما جرى الآن .

داود — زينة ستروح معك الى البيت . قبل تكفل ان امك لا تصبم خطبها عليها ؟

الياس — ماذا تعني ؟

داود — اعني — هل تكفل ان امك لا تضربها ؟

الياس — خذ لك انت كفالة كهذه الكفالة .

داود — اذن سألقي اتكالي عليك .

الياس — ستلقي اتكالك علي ؟ — وهل تظن انك تهتم بها اكثر مني — وانا اخبرها ؟

داود — لربما كنت اهتم بها اكثر منك ، ما يدريك ؟ اذا لحق بها اذى فاعلم انه سيلحق بي اضعافه .

الياس — والله لعمر ! هل تظن انك تحبها اكثر مني ؟

داود — نعم . احبها اكثر من نفسي يا الياس

الياس — ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ هل انا في حلم ؟ هل ذاك صحيح يا زينة ؟

زينة — صحيح يا الياس .

الياس — هل اتفقتما ان تلعبا دوراً على ظهري ؟ والله اذا صح ذلك فقد تم ما كنت اشتبهه من زمان . داود (آخذاً بيده) انا لا اعرف في العالم فتاة تليق ان تكون رفيقة لك كزينة . وانت يا زينة (آخذاً بيدها) انا لم أرَ بعد رجلاً جديراً بقلبك السليم وروحك الطاهرة كهذا الرجل . فليبارككما الله .

داود — (باسماً) قد باركتنا السماء من قبلك . واذا كان بينك وبين الله صداقة جديدة فاطلب اليه ان يفتح عيني امك لتبارك زواجنا وترتد عن ابن العركوش .

الياس — امي — امي لا يفتح عينيها سوى القبر . واذا كنت تنتظر

ـشاها فالاحسن ان تبدأ حياتك من جديد . (يسمع طرق على الباب . يذهب الياس ويفتحه . يدخل خليل وام الياس)

ام الياس — (متجهة نحو زينة) آه يا مغضوبة يا عاهرة يا فاقصة يالالي بلا دين ! انت هون وانا غليت المراسيل وانا دور عليكِ آ ؟ ايش شغلتك هون يا ملعونة يا مقصوفة العمر ؟ ايش الكِ شغل هون آ ؟ تفه عليكِ ولعنة الله وغضبه . بدك تجرسيني بين الناس ؟ بدكِ تزعي اسمي واسم بيت سماحه — والله لانزع لحمك عن عظمك يا خاينة ! يالالي بلا شوف وبلا ناموس ! شو طلعتك من البيت وحدك بليلة مثل هالليلة ؟ شو شغلك فيهم بيوت الناس ؟ بعدك زغيرة تاتقاومي امك وتكسري كلمتها — لكسر العصا عاضلاعك يا منحوسة ! ان خليتك هيك الله لا يخليني . ان خليتك هيك ما بكون من صهر امي زبي ولا بكون بنت العرموني . صوتِ عن تطلعي بفنون فنون آ ؟ صوتِ عن تمشي عامشا راسك — الله لا يعيشك تمشي ! الله يلعنك بكل كتاب مقري ولو كانت اللعنة على الحجر ما بتجوز . انصرفي عالبيت قوام — هلق . بهالدقيقة . انهزي . تحركي — لا يعيشك تتحركي ان شاء الله . (زينة تبقى مكانها . ام الياس تقترب منها بغضب وتأخذها من شعرها) قلت لكِ انصرفي ! (تحاول ان تجرها)

داود — (رافعاً يد ام الياس عن زينة ودافعاً اياها الى الور آه) ام الياس . ام الياس . لا تنسي ان زينة في بيتي الان . وانك اذا كررتِ بعد لمعاتك عليها اضطر ان اسألك ان تخرجي من هنا .

ام الياس — وحضرتك بيك — ايش من الناس ؟ شو دخل ذا بيك بيني وبين بنتي · انا حره ببنتي · انت شو بيعنيك منها ؟

داود — بعنيني منها اكثر ما بعنيك ·

ام الياس — انت · انت ؟ انت بيعنيك منها اكثر ما بيعنيني ؟ انت — شقفة قلعوط ما حدا بيعرف جلدة راس بيك منين — شقفة بستوند ؟ زينة ! سمعت لحد وين وصلتني امورك يا رديه — ربتك توصالي عاجنم تانتيح منك بقرد مرة · (تهجم نحوها لتضربها · داود يأخذها بلطف نحو الباب)

داود — قلت لك اني اضطر ان اخرجك من هنا · فاعملي معروفاً واتركي بيتي !

ام الياس — يقلع لك ولبيتك · انا منشردقه فيك وبيتك · بدي بنتي · شيل ايدك عني بهاالدقيقه يما بيني وبينك المحكمة · (خليل يهجم على داود قاصداً ضربه)

الياس — (منقضاً على خليل) خليل · خليل ! قف مكانك · (يدفع خليلاً الى الوراء)

زينة — (تصرخ مذعورة) داود ··· امي ··· خليل ··· الياس (تهبط على الكرسي وتضع رأسها على الطاولة وتبكي)

ام الياس — زينة ··· زينة ··· لحد وين بعد بدك توصليني ؟ (تقع على الارض مغشية عليها) · شهيدة والياس وداود وخليل وزينة — كلهم يسرعون لمعونتها · داود يأتي بماء ويرش على وجهها فتفيق بعد قليل)

داود — (بلطف) اعذريني يا ام الياس ...

ام الياس — (بصوت ضعيف مغضوب) ابعد عني . ابعد عني . انت اصل السبب . انت كل البلا منك . بنتي كانت مثل الخاتم بالخنصر قبل ما جيت انت عايشتنا — ريتها ما كانت هاك الساعة ! (الى زينة) وهلق . بتمشي عاتاليت يما لا ؟

داود — (الى زينة) أتريدين ان تذهبي يا زينة ؟ (زينة تنهض ساكتة وتتجه نحو الباب . ام الياس وخليل يتبعانها)

الياس — لا تخف يا داود !

داود — اذكر وعدك يا الياس ! كل اتكالي عليك .

الستار

(البقية تأتي)